

أهل الفن

شوشو.. نجم أغنى الفن وقتله الفقر
كان وحي كوميدياً من عالم آخر لا يتماثل فيه شخصان
بيروت - لوريس الرشعيني



اللبناني حسن علاء الدين «شوشو»



حسن علاء الدين روح الضحكة الفنية، غلب عليه لقب «شوشو» الذي أطلقه عليه الفنان الراحل محمد شامل في بداية تعاونهما الفني، وكان شوشو بمجرد إطلالته بنحالته الفاضحة، وشاربيه الممتدين كلعبة شد الحبل، يزرع الابتسامة العريضة على ثغر جمهوره الكبير، الذي كان يضحك على همومه بلسان شوشو ولكنته البيروتية الخاصة، وطبيعة صوته المفعم بالكوميديا، وأسلوبه في الفعل ورد الفعل، لقد كان بحق وحي كوميدياً من عالم آخر لا يتماثل فيه شخصان، كان بسيطاً معقداً، سهلاً ممتنعاً، كوميدياً فاضحاً لآلام الناس ومعاناتهم.

ولد شوشو في بيروت العام 1939، توفي والده وهو في الثامنة من عمره، فربي يتيماً، فقيراً، تميز بطيبة وبساطة نادرة، وروح مرحة تزرع الدهشة والفرح أينما حلت، فقد كان يقلد كل الأشخاص الذين يقابلهم في حياته اليومية، بالإضافة الى شكله الغريب وملابسه غير المتناسقة لا شكلاً ولا لوناً، كما عرف عنه طموحه الكبير وعناده الشديد.

تنقل شوشو في مدارس كثيرة حتى تخرج أخيراً بشهادة في التجارة، وكان شغوفاً بالتمثيل منذ طفولته، ما دفعه إلى اتخاذ قطعة أرض مهجورة قرب منزله وجعلها متنفساً للتعبير عن موهبته المكتوبة، حيث كان يقدم مع مجموعة من رفاقه استكتشات تمثيلية، ويطلب من الحضور بدل دخول لمشاهدة العرض، وسرعان ما ازدحم المكان بالناس، وتعرف في أحد العروضات إلى محمد شامل الذي دعت زوجته بعد رحيل الفنان محمد مرعي (رفيق شامل والعنصر الأساسي في أعماله) إلى حضور عرض مسرحي لفرقة شباب مبتدئة، فرفض، إلا أنها أجبرته على مرافقتها، ليرى مكان العرض قطعة أرض مهجورة، وخشبة المسرح مكونة من عدد من الحجارة ورقع قماش وستائر بسيطة، رحب الشباب بمحمد شامل وزوجته بارتباك وريبة، وأحضروا لهما مقعدين خشبيين، وقدموا لهما المرطبات، وعندما بدأ العرض صعد شوشو إلى المسرح وهو يرتجف، وتساعد التصفيق.

وفي اليوم التالي ذهب شوشو إلى محمد شامل، وطلب منه أن يشركه في أعماله الفنية، فرفض شامل في البداية بحجة أنه لا أعمال جديدة لديه، بيد أن شوشو المعروف بعناده ظل يلاحق شامل، فأرسله إلى المخرج محمد كريم الذي كان يُسجل حينها برنامجاً إذاعياً، وجلس شوشو ينتظره 12 ساعة بالتمام، فاستقبله وقرر إعطاه دوراً إذاعياً بدا كأنه أسلوب رفض لشوشو، وهو قرع الباب على الميكرفون.

وبعد ثلاث سنوات، بدأ التعاون بين شوشو ومحمد شامل من خلال برنامج تلفزيوني مخصص للأطفال كتبه وأعداه شامل، وأسند دور البطولة فيه إلى حسن علاء الدين الذي كان اسمه في العمل شوشو، ومنذ ذلك الوقت عرف حسن علاء الدين بـ «شوشو»، وانسجم الاسم مع المسمى. وأدى شوشو في ذلك العمل أول أغنية له، وكانت أغنية للأطفال تقول: «حب اللولو سنيناتي، بنصفهن بدياتي، لونن أبيض مثل الثلج، شوفوهن يا رفقاتي».

لقد نجح هذا الدور نجاحاً باهراً وأصبح شوشو صديقاً محبباً لجميع الأطفال، وألحق شوشو هذا الدور بعدد كبير من أغاني الأطفال. ومن ثم اختاره محمد شامل مرة ثانية لبطولة برنامج «يا مدير» الذي تألق نجمه فيه، وأثار حفيظة معظم الصحفيين والنقاد الذين أبهرتهم تلك الشخصية القادرة على جعل غالبية اللبنانيين يجتمعون أمام الشاشة الصغيرة في كل سبت لمشاهدوا شوشو يقول: «كيفك يا شخص»، وتوالت الأعمال التلفزيونية حيث قدم حلقات فكاهية، ومسلسل «المشوار الطويل» إلى جانب النجم السينمائي محمود المليجي، ومسلسل «شارع العز»، ومسلسل «الدنيا هي» الذي لم يكمله شوشو لأن شامل كتبه نصاً جماعياً لم يحدد فيه نجماً رئيسياً.

وبعد تحقيق حلمه التلفزيوني انتقل شوشو إلى حلمه الأبعد في السينما، فكان أول عمل سينمائي له «شوشو والمليون» الذي لاقى نجاحاً غير متوقع، بالإضافة إلى أنه كان الفيلم الأول الذي يعرض في إحدى صالات شارع الحمراء في بيروت، وأتبع ذلك الفيلم بخمسة أفلام سينمائية وهي: «يا سلام عالجب»، «فندق السعادة»، «سلام بعد الموت»، «زمان يا حب»، «سيدتي الجميلة». ولم يحصد شوشو نجاحاً سينمائياً باهراً كما في المسرح، رغم النجاح الذي حققه فيلمه «فندق السعادة» ورغم ميله الشخصي نحو السينما، وإشادة النقاد بموهبته السينمائية، ورأيهم بأنه لو أتيح له الوصول إلى عاصمة السينما لكان أشهر ممثل كوميدي في عصره.

زواج

حافظ شوشو خلال موجته السينمائية على علاقته وتعامله مع محمد شامل، وكان مغرمًا بابنته فاطمة، لكن شامل وزوجته عارضا هذا الحب، مما اضطر شوشو إلى خطفها والزواج بها، وأنجب منها ثلاثة أولاد، وتميزت عائلته بعلاقة أفرادها المميزة والحب والتفاهم الذي ساد المنزل رغم الفقر والمشاكل والهموم التي كانت تكحل صفاء أيامهم.

بعد زواج شوشو بفاطمة محمد شامل، ترك التلفزيون وعاد لمتابع عمله كموظف إداري في البنك الأهلي السعودي في بيروت. وإلى جانب ذلك كان يقدم بعض الإسكتشات الهزلية في الملاهي الليلية، وكانت اسكتشات مفعمة بالانتقادات السياسية والاجتماعية، مما جره إلى المتاعب مع الأمن العام الذي غالباً ما كان يستدعيه ويستجوبه.

لم يستكن شوشو لهذا الواقع الذي فرض عليه، فذهب إلى مدير صالة «دنيا شهرزاد» وطلب منه أن يوجره الصالة مقابل نسبة (60 %) لصاحبها، و(40 %) له، وتحويل تلك الصالة من قاعة سينمائية، إلى مسرح وطني دائم. وهكذا كان، فبدأ المسرح الوطني على يد شوشو وصديقه الكاتب وجيه رضوان، والمخرج والمؤلف نزار ميقاتي (والد المخرج عمر ميقاتي)، الذي كان شريكه الرئيسي في المرحلة الأولى من تاريخ المسرح الوطني (1965/1970).

وكان العمل المسرحي الأول في المسرح الوطني «شوشو بك في صوفر» وهي مسرحية معربة قدمه فيها نزار ميقاتي، في حفل افتتاح المسرح الوطني (11/10/1965)، وكانت الفرقة المسرحية مؤلفة إلى جانب شوشو من إبراهيم مرعشلي وسمير شممص وعوني المصري وعلي دياب ومحمد سمراني وناديا حمدي وجيزيل نصر، وعادل سابا وزيد مكوك. وفي نهاية هذا العرض قدم الشاعر جورج شحادة لشوشو عرضاً بأن يأخذه إلى باريس ويعلمه أصول اللغة الفرنسية، وينطلق من هناك بشهرة عالمية، لكن شوشو رفض العرض. واستمر عرض عمله الأول على مدى ستة أشهر. ليصبح مسرح شوشو بعد ذلك المسرح الشعبي، ومسرح المثقفين الأول في لبنان، والذي استقطب عشرات الألوف من اللبنانيين.

وخلال 10 سنوات قدم شوشو 20 مسرحية معظمها من البولفار الفرنسي، حيث لمع شوشو في اقتباس نصوص موليير «جوه وبزه»، و«البخيل» و«مريض الوهم» وبعض الأعمال العالمية المعربة «حبل الكذب طويل» و«الدنيا دولاب» التي أخرجها سيد بدير، وصلت إلى تسعة وتسعين وأخرجها محمد سلمان، وأعاد ابنه خضر عرضها، ومثل دور والده إحياءً لذكراه في كانون الأول 2008. كما ألف له فارس يواكيم مسرحية «خيمة كراكوز»، وأخرج له مسرحية «فوق وتحت»، وأخرج له محمد كريم أربع مسرحيات هي «طربوش بالقاووش» و«فرقت نمرة» و«واو، سين» ومسرحية «وراء البارافان» التي أعدها محمد شامل.

وفي العام 1970 ترك نزار ميقاتي العمل مع شوشو، الذي كان قد دخل مرحلة نضج شددت انتباه كبار الكتاب والمخرجين والصحافيين أمثال أنسي الحاج. وبدأ شوشو مرحلة جديدة (1970-1975) مثلت ذروة عطائه، فكان مسرحه عاصفاً بالضحكات التي سكنت ألما اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية وفنية، صاغت مزاجية المسرح الشعبي، في قالب الكوميديا النظيفة الحية البعيدة كل البعد عن الابتذال والسوقية.

وتعاون شوشو مع المخرج برج فازليان، الذي كانت له اهتمامات بالمسرح الجدي، فكانت مسرحية «اللعب على الحبلين»، ثم كوميديا «ديلارتي» ومسرحية «كافيار وعدس» لوجيه رضوان في طور الاتجاه نحو المسرح الاجتماعي

مصادرة

وفي العام 1973 قدم شوشو مسرحية «آخ يا بلدنا» التي ترجمها نقولا واكيم، عن أوبرا «القروش الأربعة» لبريشت المأخوذة بدورها عن أوبرا الشحاذين لجون غابي، وأخرجها روجيه عساف، وكتب أغنياتها الشهيرة الشاعر ميشال طعمه، هذه الأغنية التي صودرت أسطوانتها من السوق واعتبرت مخالفة للقوانين، ولكن الناس كانوا قد أحبوا وحفظوها وصارت تردد على كل لسان. هذه المسرحية استقبلها الجمهور استقبالا المناضلين، وسطعت من خلالها فرقة شوشو كأول فرقة مسرحية يصل جمهورها إلى 70 ألف مشاهد.

ضم مسرح شوشو كثيراً من نجوم المجد القديم أمثال ماجد أفيوني وإبراهيم مرعشلي وأماليا أبي صالح، وأماليا العريس ومرسيل مارينا، وشفيق حسن وغيرهم.

وواظب رجال السياسة، والرؤساء أحياناً، على حضور مسرح شوشو الذي تميز بسقف جرة عال جداً، مما عرضه للسجن في بعض الأحيان، وإلى مصادرة بعض أعماله. كما تميز بكونه مسرحاً عفواً تلقائياً قريباً من الفوضى المصاغة، فلم يكن مسرحاً مباشراً ولا تحليلياً للوقائع، رغم أنه بدأ بريشتياً تنظيرياً أمام حشود شعبية، إلا أن سعي شوشو الدائم لاكتشاف نفسه واكتشاف جمهوره جعله في حركة تطوير دائمة، ليصبح مسرحاً رائداً طغى عليه النص التجريبي الحديث، كما أضاف إلى المسرح والمجتمع من خلال كسر القيود بين الطبقات

الاجتماعية، والانقلاب على الواقع المتناقض الذي حَمَل ببذور الحرب الأهلية.

اسكتشات

لم يتوقف شوشو نهائياً عن العمل في الإذاعة والتلفزيون في فترة خصوبة المسرح الوطني، بل خاض أيضاً غماراً سينمائياً، فقدم في الإذاعة اللبنانية اسكتشات فكاهية، وبرنامجين الأول بعنوان «شوشو بوند»، والثاني «خلي بالك من شوشو». كما سجل إسطوانتين للأطفال «ألف باء» و«إنكعاً أبا أبا»، كما قدم في هذا المضمير مسرحيتي أطفال حققتا نجاحاً كبيراً، حيث أحب الأطفال هذا الطفل الكبير الغريب الأطوار، وقلدوا حركاته ولكنته، ورددوا عباراته وغنوا أغانيه، وهو من قال عن مسرح الطفل بأنه المسرح الأصعب، والذي يجعله يرتجف رعباً، وينقص وزنه خمسة كيلوات على الأقل.

نال شوشو وسام الاستحقاق اللبناني في العام 1968 ، وفي العام 1971 منحه الشاعر سعيد عقل جائزته الشعرية، وفي 1973 حاز على شهادة شرف من منظمة اليونسيف العالمية.

شوشو أحب الفن على حساب حياته وأهله وماله، وعلى رغم تراكم عطاءاته كان فناناً فقيراً مديوناً، أعيت قلبه الهموم، والمطالبات وراءه لم تجد من يزيح ثقلها عن روحه الهانمة في عالم الفن، التي أبت الانصياع الى تعليمات الأطباء بعدم صعودها خشبة المسرح، وظل يمثل بروحه، ويصارع مرضه وفقره وهمومه بالعناد الفني والإصرار على العطاء، إلى جانب التدخين والإسراف في شرب القهوة. حتى أسكتت قلبه نوبة شديدة، فدفع حياته في سبيل إسعاد الناس وإضحاكهم. وتوفي شوشو في 2 نوفمبر (تشرين ثاني) 1975 في بدايات الحرب الأهلية عن عمر يناهز السادسة والثلاثين، منها 10 سنوات في المسرح.

تاريخ النشر : 12-09-2009